الإمارات
THE EMIRATES

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

العددان 42-43 – مايو، يونيو 2022، السنة السادسة

ملف العدد

النجوم والمواسم في التراث الإماراتي علامات يُهتدى بها

400 عنوان لـ « الشارقة للتراث» في معرض أبوظبي الدولي للكتاب

عبدالعزيز المسلم يستقبل الباحث والخبير في عالم المكتبات إلمارساييل

«الشارقة للتراث» و«الوطني للتراث» يبحثان أوجه التعاون الثنائي

الراوي سيف علي المنصوري في ذمة الله أحد أقطاب التراث الإماراتي

مراود MARAWED Issue, 42 - 43, (MAY, JUN 2022), The Sixth year
42
43

Issue, 42 - 43, (MAY, JUN 2022), The Sixth year

MARAWED

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

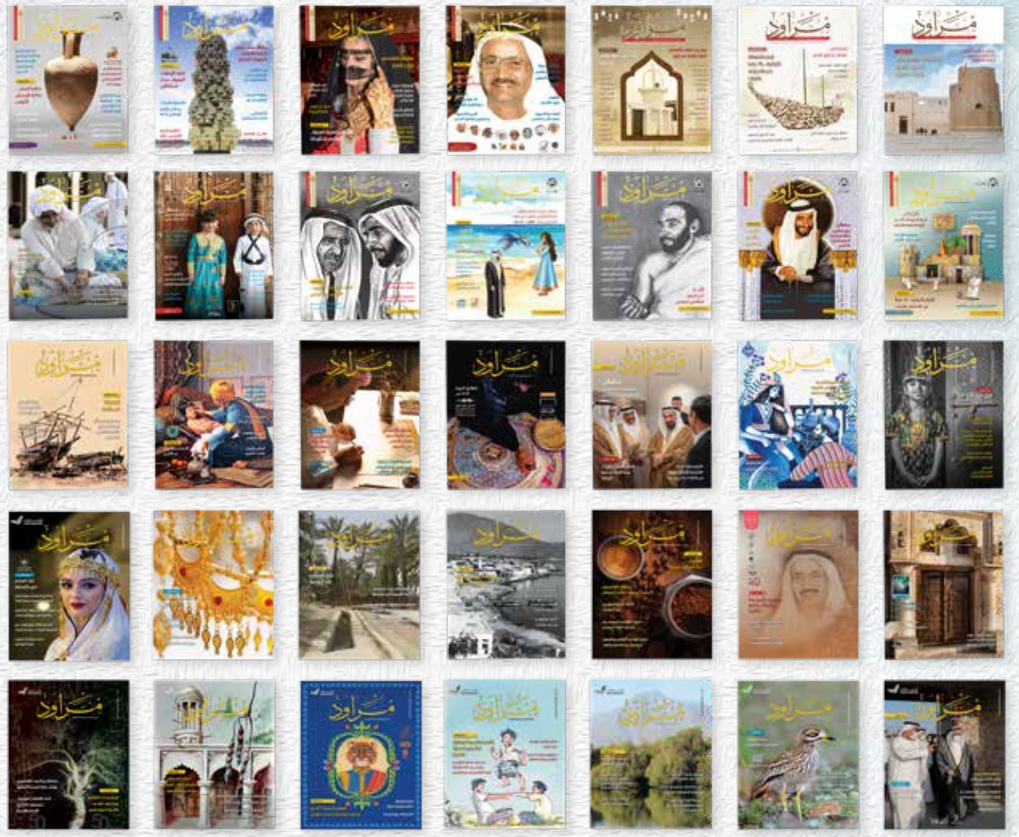

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization
معهد الشارقة للتراث
Sharjah Institute for Heritage
إدارة المحتوى والنشر
Content and Publishing Department
عام الخمسين
YEAR OF THE FIFTIETH
50
UAE

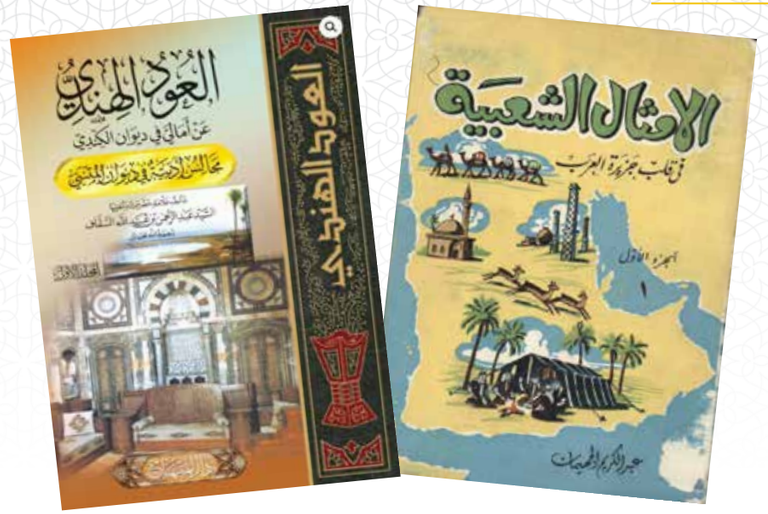

التشابه بين الحكايات الشعبية العربية

قصة وفاء التاجر الحجازي وتشابهها مع قصة من اليمن نموذجاً

المتأمل في التراث الشعبي العربي يجد تشابهاً كبيراً في الموروث الثقافي بين كثير من البلاد العربية، رغم تباعدها واختلاف لهجاتها وثقافتها. وكل هذا يدل على وحدة الأصل والمنبع الذي استقت منه تلك الشعوب موروثها الثقافي، وهو الثقافة العربية والإسلامية.

د. عبدالحكيم الزبيدي
باحث – الإمارات

ومن خلال اطلاعي على الموروث الشعبي العربي، وقعت على بعض القصص أو الأساطير التي تتكرر في بعض البلدان العربية، ولكن بتفاصيل مختلفة. وسوف أتناول هنا قصة من الموروث الشعبي الحجازي، تشابهت أحداثها إلى حد التطابق تقريباً مع قصة جرت في منطقة حضرموت باليمن.

قصة وفاء التاجر الحجازي:

روى الباحث عبدالكريم الجهيمان في كتابه «الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية»،[1] عند شرح المثل «الجمايل تقاضى بالجمايل»، قصة وفاء نادرة حدثت بين تاجر حجازي وتاجر مصري. وسندع الباحث الجهيمان يرويها لنا بأسلوبه المسهب، يقول الجهيمان:

«ومما يجدر ذكره من القصص الشعبية بمناسبة هذا المثل قصة واقعية أحد بطليها من الحجاز، والآخر من مصر. وخلاصة القصة أن ثرياً من أثرياء الحجاز كتب إلى ثري من أثرياء مصر ليبعث إليه بعض البضائع، وبعث التاجر المصري بعض البضاعة فباعها الحجازي، وبعث إليه ثمنها كاملاً، فازدادت الثقة بين التاجرين، وكثرت المصالح المتبادلة بينهما، وداما على هذه الحالة عدداً من السنين، ثم عزم التاجر المصري على الحج، وكتب إلى زميله وعميله التاجر الحجازي، أنه سيحج في ذلك العام، وأنه سوف يتوجه في الباخرة الفلانية، وطلب من زميله أن يعد له منزلاً مناسباً، فرحب بذلك التاجر الحجازي، وفرح برؤية زميله وعميله؛ لأن واحداً منهما لم ير الآخر، وإنما تعارفهما ومعاملتهما بالمراسلة. واستأجر التاجر الحجازي بيتاً جميلاً مجاوراً له، وفرشه وأثثه وهيأ فيه كل ما تتطلبه معيشة ثري عاش في مصر، ورتب الخدم والحشم، وهيأ كل شيء يمكن أن يطلبه هذا الثري المصري.

وجاء موعد وصول الباخرة فذهب التاجر الحجازي لاستقبال عميله وزميله، والتقى الاثنان وتعارفا، وأكرم التاجر الحجازي وفادة زميله، وأخذه للمنزل المعد له، وصار يرافقه، ويقوم بشؤونه، ولا يكاد يفارقه ليلاً ولا نهاراً إلا ما ندر. وبعد مضي مدة لاحظ التاجر الحجازي أن حالة زميله تنقص وتسير من سيئ إلى أسوأ، فسأله عن السبب، فحاول أن يكتم، ولكن التاجر الحجازي ألحّ عليه. وقال لابد أن تخبرني، فإن كان مرضاً عالجناه، وإن كان لأمر من الأمور فلعلي أوفق إلى زوال العناصر المزعجة فيه. فقال إنني كنت أمشي في بعض شوارع هذه المحلة، وبصرت بامرأة من أحد النوافذ تطل على الشارع، فسحرت بجمالها وتعلق قلبي بها، وصارت هي مجال تفكيري ليلاً ونهاراً، ولا شك في أن حالي هو من أسباب تعلقي بهذه المرأة، وأنا أرغب الزواج بها مهما كلفني ذلك من مال. فقال زميله الحجازي اطمئن وثق بأنني سوف أنالها لك. والشيء الذي أريده منك أن تريني البيت الذي رأيتها فيه. فذهب التاجران وعندما أقبلا على قصر من قصور التاجر الحجازي، وقفا عنده، وقال إنني رأيتها تطل من تلك النافذة، وإذا هو بيت زميله، والتي تطل منه هي ابنة عم التاجر الحجازي، تزوجها حديثاً عن هوى ومحبة، فقال التاجر الحجازي لزميله لقد انحلت المشكلة، واعتبر أن الموضوع سوف ينتهي إلى ما تحب. فأكمل مناسكك وحجك، وفي هذه الأثناء سوف أكون هيأت الأمور على ما تحب.

وذهب الرجل إلى ابنة عمه وأخبرها بالقصة، وقال لها إنه لا بد من طلاقها وتزويجها بالتاجر المصري بعد نهاية العدة، فأرادت أن تمانع، فقال إن هذا شيء لا بد منه، وإذا كنت تحبينني وتفين لهذا الحب فاقبلي هذا الواقع. فقبلت ابنة عمه هذا الأمر على مضض وطلقها واستعدت. وعندما أكمل التاجر المصري مناسك حجه كان التاجر الحجازي قد هيأ جميع مراسيم الزواج، ولكن التاجر المصري أحب أن يكون الدخول بها في مصر، فعقد له عليها، وذهب بها معه. وعندما وصل إلى مصر، هيأ مراسيم الزواج هناك، ودخل بها، وعندما أصبح الصباح قال لها زوجها اطلبي أي شيء تريدينه في أول أيام حياتنا الزوجية، فقالت أخشى ألّا تجيب طلبي، فأعطاها العهود والمواثيق أن يعطيها أي شيء تطلبه، فقالت أريد أن تهبني لفلان، تقصد زميله الحجازي وزوجها وابن عمها، وكان المصري لا يدري أنها زوجته، كما أنه لا يدري أنها ابنة عمه، وإنما اتهمها أن بينها وبينه علاقات غرامية سرية، فغضب وشامت نفسه، وطلقها ثلاثاً وأعادها إلى الحجاز معززة مكرمة. وعندما رجعت إلى أهلها جاء إليها زوجها الأول، وسألها عن جلية الخبر، فأخبرته، فلامها على عملها، ولكنها قالت إنها لا تطيب لها الغربة، ولا يطيب لها عشرة أحد غير ابن عمها، وما دام عرض

الباحث عبد الكريم الجهيمان

عليها أن تطلب فهذا أعز شيء لديها يمكن أن تطلبه. وعاد التاجر الحجازي إلى ابنة عمه، وانكمش التاجر المصري عن التاجر الحجازي، وصار لا يرسل له شيئاً، وانقطعت المعاملة بين التاجرين. وكانت بلاد الحجاز في قلاقل وفتن ما بين الأشراف والأتراك، وذهبت بضاعة التاجر الحجازي، ولم يبق له من الدنيا إلا ابنة عمه، وعندما رأت ما هو فيه من الحاجة والفقر بعد العز والجاه والمال، قالت له لماذا لا تسافر إلى مصر وتزور صديقك التاجر، وتشرح له أوضاعك، لعله ينتشلك مما أنت فيه، ففكر في الأمر ملياً، ثم وافق على السفر وشد رحاله إلى مصر، فوصلها فسأل عن صديقه فدل عليه، وجاء ليدخل فمنعه الحارس، وقال له من أنت؟ فقال أنا رجل من الحجاز، فذهب الحارس وأخبر سيده، فقال ائذن له فلعله يعرف أخباراً عن صديقنا فلان فدخل عليه، وكان ودعا التاجر المصري كبار التجار لهذه الوليمة، وعرفهم بالتاجر الحجازي ومكانته الرفيعة في بلده، والمعاملة النظيفة التي كان يعامله بها، فرحب به التجار وصار هؤلاء التجار يتسابقون على الاحتفاء به وإكرامه وإقامة الحفلات تلو الحفلات لإظهار الفرح والسرور بقدومه. وعندما انتهى دور الإكرام شرح التاجر الحجازي لصديقه ما هو فيه من ضائقة مالية، فقال سوف ترى، ودعا التاجر المصري أولاده، وقال هل تعرفون هذا؟ فسكتوا فقال إنه شريكي في جميع ما أتمتع به من ثراء واسع، والآن أخبركم أنني سوف أقاسمه جميع ما لدي من الأموال الثابتة والأموال المنقولة، فوافق الأبناء على رأي أبيهم، وأحصيت الأموال جميعها، وقاسمه إياها، وحملها على أحد المراكب، وعاد بها إلى أهله ووطنه فرحاً مسروراً.

هذه قصة واقعية قصها أحدهم على جلالة المغفور له عبدالعزيز آل سعود، على أن يحكم أيهما أكثر وفاءً، والذي يظهر أن جلالة الملك حكم للتاجر الحجازي؛ لأنه آثر زميله على نفسه في أحب الناس إليه، وهي زوجته وابنة عمه، والإيثار في مثل هذه الأمور لا يعدله أي إيثار مادي، مهما بلغت قيمته ومقداره. فقد ضحى كثير من العظماء بعروشهم ومراكزهم وثرواتهم في سبيل العاطفة والحب.

العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف

قصة وفاء الحُمومي:

تتشابه قصة التاجرين الحجازي والمصري مع قصة في الموروث الشعبي اليمني، رواها العلامة عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف في كتابه «العود الهندي»، والكتاب في الأصل في نقد أبيات المتنبي، ولكن السقاف كان يستطرد في حديثه، كعادة المؤلفين القدامى، فيذكر ما تختزنه ذاكرته من أحداث وقصص يستدعيها سياق حديثه. فعند تناوله بيت المتنبي[2]:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ

لولا مخاطبتي إياك لم ترني

وبعد أن شرحه، وأورد كل ما يتعلق به، ذكر حكايات عن العشق والوجد الصوفي، ثم قال: «وإذ انتهى بنا حديث الشوق إلى هنا، فلا نُدحة لنا من ذكر أمثلة سمعتُ بها في الأخير، لنُلحق التالد بالطارف، منها...»[3]. وذكر بعض القصص التي سمعها من معاصريه، وقعت أحداثها في اليمن، ومنها هذه القصة. وسندع العلامة ابن عبيد الله السقاف يروي لنا أحداث القصة بأسلوبه الأدبي الراقي. يقول ابن عبيد الله[4]: «ومنها: ما بلغني أنَّ اثنين من الحُموم، كان بينهما ودٌّ وإخاءٌ، فزار أحدهما الآخرَ مرةً على بُعد الدار، وشَحْط المزار، وعليه آثارُ الضنى، فسأله عمَّا به فكتمَ، حتى ألحَّ عليه، فقال: إني استعرضتُ النساء في قَدمتي الأولى عليكَ، فافتتنتُ بواحدة منهنَّ، صيَّرني هواها إلى ما رأيت، قال: هل تعرفُها لو رأيتها؟ قال: نعم، فمرَّ به على النساء، فأشارَ إليها، فقال له: طِبْ نفساً عنها، وقَرَّ عيناً بزواجها، ولم يزلْ يُعلِّلُهُ، ويستمهلُهُ، حتى أعرس له بها، وزفَّها، ولمَّا احتملها إلى قومه، أخبرته أنها كانت زوجةَ صاحبه، وأنه كان محباً لها، ولم يطلقها إلا إيثاراً لهواه، فسُقِطَ في يدِه، وأعظمَ الأمرَ، وشاء أن يطلقها، لولا أنها اشتملت منه على ولد، وأيقنَ بالهلاك إنْ هو فارقها، ثم زار صاحبَهُ بإثرِ ذلكَ، فألفاه رهينَ الفراش، فسأَلَهُ عن علَّتِه، وهل لها من دواء؟! فقال: لقد استوصفتُ الأطباءَ من أهل باديتنا، وكلُّهم أشارَ عليَّ بما لا يمكنُ وجودُهُ، قال: ما هوَ؟ قال: دمُ طفلٍ يكونُ وحيدَ أبويه يذبحانه بأيديهما، فلما رجع إلى امرأته؛ قال لها: قدْ علمتِ ما أثقلني به صاحبي منَ المِنَّة، وأقدرني الله على مكافأته، وشرح لها الحديث، فذهبا بالولد، ولمَّا قابلا الرجلَ ذبحاهُ، وأفرغا عليه دمَهُ، كما وصفَ له الأطباءُ في العلاج، فتماثلَ، ثم برأ. هذا ما حدثني به جماعةٌ من العوامرِ والحُمومِ[5]، والله أعلمُ بحقيقة الحال. ولا

شـكَّ في أنـه مـن النـكارةِ والأُشـنوعةِ والفظاعـةِ بالدرجـةِ الفاحشـةِ، ولكنْ للوفـاءِ هِـزَّةٌ من حيثُ كان، فـلا حـرجَ أَنْ أُعجبنـا بـه مـن هـذه الجهـة».

التشابه والاختلاف بين القصتين:

تتشـابه القصتـان في أن كلاً منهمـا تـروى على أنها قصـة حقيقيـة حصلت بالفعل؛ فالأولى رُويت في مجلس الملك عبدالعزيـز، وطلب منـه أن يحكم أي الرجلين أكثر وفـاء، فحكـم للحجـازي؛ لأنـه تخلـى عـن زوجتـه لصديقـه. والثانيـة رواهـا جماعـة مـن قبيلتـي العوامـر والحُمـوم للعلامـة ابـن عبيـد الله، على أنها جرت فعلاً لرجلين من الحُمـوم. وتتشـابه القصتـان أيضـاً في أن الصديقـين كان كل منهمـا يقيـم في بلد أو مكان بعيد عـن الآخـر. فالقصـة الأولـى الصديقـان فيهـا أحدهمـا مـن الحجـاز والآخـر مـن مصـر. أمـا القصـة الثانيـة فالصديقـان، وإن كانـا مـن القبيلـة نفسـها (الحُمـوم)، إلا أن كلاً منهمـا يسـكن في منطقـة بعيـدة عـن الآخـر. والتشـابه الأهـم في القصتـين هـي أن كلاً مـن الحجـازي والحُمومـي تنـازل عـن زوجتـه الحبيبـة إلـى قلبـه إيثـاراً لصديقـه. ولكـن الاختـلاف يكمـن في كيفيـة رد الصديـق الديـن وفـاءً لصديقـه الـذي آثـره بزوجتـه الحبيبـة. ولا شـك في أن صنيـع التاجـر المصـري أقـرب إلـى الواقـع مـن صنيـع الحُمومـي. فالمصـري قاسـم صديقـه الحجـازي ثروتـه، عندمـا افتقـر وأعـاده إلـى الحجـاز معـززاً مكرمـاً، وهـذا شـيء ممكـن الحـدوث في الواقـع، وأقـرب إلـى التصديـق مـن فعـل الحُمومـي الـذي ذبـح ابنـه فلـذة كبـده، ليسـكب دمـه علـى جسـد صديقـه، ليبـرأ مـن علتـه. ونـرى العلامـة ابـن عبيـد الله يـروي القصـة بشـيء مـن التشـكيك، فيقـول معلقـاً عليهـا: «هـذا مـا حدثنـي بـه جماعـةٌ مـن العوامـرِ والحُمـومِ، واللّٰهُ أعلـمُ بحقيقـة الحـال».

فرغـم أن الـذي حدثـه بهـا ليـس شـخصاً واحـداً، فيتهـم بالكـذب أو النسـيان، بـل «جماعـة مـن العوامـر والحمـوم»، وهمـا قبيلتـان مختلفتـان، إذ لـو افترضنـا أن الحُمـوم اختلقـوا القصـة ليدلـوا بهـا على وفائهـم، فـإن العوامـر لـن يوافقوهـم عليهـا، إلا إذا كانـت صحيحـة بالفعـل. ورغـم كل ذلـك فـإن ابـن عبيـد الله لا يميـل إلـى تصديقهـا، بدليـل قولـه: «والله أعلـم بحقيقـة الحـال». ولكـن ابـن عبيـد الله لا يخفـي إعجابـه بمبلـغ الوفـاء مـن الرجلـين: الـذي ضحـى بزوجتـه أحـب النـاس إليـه، والـذي ضحـى بابنـه أعـز النـاس لديـه، وإن كان قـد أنكـر صنيـع الـذي ذبـح ابنـه إنـكاراً عظيمـاً، حـين قـال: «ولا شـكَّ في أنـه مـن النـكارةِ والأُشـنوعةِ والفظاعـةِ بالدرجـةِ الفاحشـةِ». ويبـدو مـن سـياق حديـث ابـن عبيـد الله أنـه لـو طلـب منـه أن يحكـم لأي الرجلـين أكثـر وفـاء لحكـم للثانـي الـذي ذبـح ولـده، بدليـل قولـه بعـد إنـكاره عليـه ذلـك الصنيـع الفاحـش: «ولكنْ للوفـاءِ هِـزَّةٌ من حيثُ كان، فـلا حـرجَ أَنْ أُعجبنـا بـه مـن هـذه الجهـة».

وتبقـى التسـاؤلات حـول هاتـين الحكايتـين قائمـة: مـا مـدى صحتهمـا؟ وهـل هنـاك تأثـر وتأثيـر بينهمـا؟ وأيهمـا أسـبق في الحـدوث؟ ولا شـك في أن التـراث الشـعبي مملـوء بالعديـد مـن الحكايـات المتشـابهة بـين الشـعوب العربيـة والإسـلامية، وهـذا موضـوع يسـتحق مزيـداً مـن البحـث والدراسـة.

1- الجهيمان، عبدالكريم: الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية، الجزء الثاني، دار أشبال العرب، الرياض، 1982م، ص ص 212-209.

2- السقاف، عبدالرحمن بن عبيد الله: العود الهندي عن أماليّ في ديوان الكندي، مجالس أدبية في ديوان المتنبي، دار المنهاج، بيروت، 2002م، ج1، ص 102.

3- المرجع السابق، ج1، ص 124.

4- المرجع السابق، ج1، ص ص 129-128.

5- العوامر والحموم من قبائل حضرموت، والنسبة إليها: الحمومي والعامري.

رواية موسم الكبك

المهمشون يوظفون التراث للنجاة من الخوف والقهر

د.أحمد إبراهيم الشريف
كاتب – مصر

التـراث منجـاة، يحملنـا مـن خوفنـا إلـى أمننـا، ومـن ضيقنـا إلـى براحنـا، إنـه صـوت المقهوريـن في الأرض، يحتمـون بـه مـن الخـوف، ومـن إحساسـهم بالدونيـة واسـتعلاء الآخـر عليهـم، هـذا مـا لاحظتـه عندمـا كنـت أكتـب روايتـي «موسـم الكبـك»، التـي حصلـت علـى جائـزة سـاويرس الثقافيـة.

تتصـدى الروايـة لتبعـات حـادث غيـر مدبـر، وقـع في النهـر، أودى بحيـاة سـائح أجنبـي، خـلال موسـم لصيـد الأسـماك في صعيـد مصـر، فبعـد اختـراق سـفينة السـياح شـباك الصيادين، يطلـق أحدهـم رصاصـة يمـوت على إثرهـا أحـد السـياح على متـن السـفينة، وفي ظـل الغضبـة الأمنيـة على الصعيـد، يصبـح هـذا الحـادث كابوسـاً يهـدد قريـة بأكملهـا.

تحكي الرواية عن قرية معزولة، أشخاصها مولعون